العدد (1903) السنة الثامنة - الاربعاء (8) ايلول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

أعـيـاد أيـام زمـان في ذاكـرة الـعـراقـيـن

للعيد ايام زمان نكهته.. فايام العيد العراقية هي ايام من التراحم والتوادد يفتتحها العراقيون بقبلات المحبة وفض النزاعات ووضع حد للمخاصمات بين افراد العوائل والمحلات المتنازعة.

ايام العيد ايام زمان.. ومضة من المتعة وسحابة من السرور تظل في ذاكرة الاطفال ملونة بمرح الاراجيح ونكهة (الكليجة) العراقية.

قصص سيرويها الكبار بحسرة في اعياد ستنحسر عنها مراسيم الفرح وطقوس المحبة بين ابناء الديانات والمذاهب الذين يتقاسمون بهجة العيد في محلات واحدة هذا ما سترويه ذاكرة الكبار عن ايام ذلك العيد المتألق في ذاكرتهم:

إعداد/ ضياء محمود

زيارة سلمان باك

ابو حسن ٥٠ عاما حدثنا عن ذكرياته في العيد قائلا:

سابقا كانت معظم العوائل البغدادية تذهب لزيارة (سلمان باك) مع الترديدات الجميلة ومن ضمنها (المايزور السلمان عمره خسارة) وكان المتنفس الوحيد آنذاك، وكانت الناس تلعب (لعبة العصا) و(لعبة الجوبي) ما يخلق جوا من السعادة البريئة لجميع الحاضرين، في الوقت الحاضر اختلفت المراسيم عن السابق، حيث وجدت النوادي الاجتماعية التي تقيم حفلاتها بمناسبة العيد وهي خاصة بالعوائل والمشتركين فقط.

تراحم وتوادد

ابو كفاح ٥٧ عاما يواصل الحديث:

ايام الاعياد تنتظرها الناس بشوق غريب، وفي المناطق الشعبية تتكفل العوائل الميسورة الحال بالعوائل الفقيرة وتفي باحتياجاتها لاسيما الايتام والارامل، مثلما يشترون لعوائلهم يشترون لهم بالاضافة الى العيدية و(الفطرة) لكي تعم الفرحة الجميع بدون استثناء.

اعياد الموصل

ويواصل ابو كفاح ذكرياته:

وفي محافظة الموصل للعيد طعم خاص، ايام ما كانت الغابات عامرة بالاشجار والخضرة والعشاق، وكانت تجيء اليها الناس من كل حدب وصوب، فانها ام الربيعين ذات الاجواء المنعشة، فكنا نرى في الاعياد السفرات الشبابية والطلابية التي تضيف للمكان بهجة اخرى من خلال الاغاني والرقصات التي يؤديها المسافرون. واهل الموصل في الاعياد لهم اكلاتهم المميزة مثل الدولمة والكبب بانواعها ناهيك عن الكرزات والحلويات واستقبال المهنئين من جميع الطوائف الاخرى.

تحضيرات النساء

نبيهة عبدالله ٥٤ عاما من اهالي بغداد استذكرت ايامها قائلة: نتحضر للعيد قبل خمسة ايام ونذهب الى الاسواق لشراء الملابس، وبالمناسبة كانت ملابس العرفات تختلف عن ايام العيد، ونشتري مواد (الكليجة) والسمسم والحلقوم قبل يوم او يومين، ونخرج في الصباح سعداء فرحين بهذا اليوم السعيد واول الناس الذين نعايدهم (الجد والجدة) ومن ثم الوالدين وكنا نفرح كثيرا بالعيدية، وكنا نقضي اغلب الاوقات في (حدائق ١٤ تموز) وحديقة الحيوانات قرب العلاوي، والان كبرت واصبحت جدة يجيئون احفادي الى معايدتي وهذا المنظر يفرحني كثيرا، واحلى الطقوس عندي حينما اوزع العيديات عليهم وهم يتشاجرون في ما بينهم على النقود المتساقطة من ايديهم واعيدها اليهم مع الكركرات البريئة، اتمنى من الله ان يعود العراق كما كان وافضل، ويعيش الناس اخوة في وطن بلا خلافات ولا حروب.

أعياد التآخي في العمارة

ازهار احمد الاسدي ٦٠ عاما تواصل:

ذكريات بديعة في محافظة العمارة، اتذكر كانت العيدية (١٠ فلوس) واحيانا تكون (٥٠ فلساً) ومن الاشياء العالقة في ذاكرتي ذلك الفرح الطفولي البريء الخالي من الكذب والتمثيل، وكنا نضع ثياب العيد تحت الوسائد وننام، بعد ان تضع لنا الوالدة طاسة الحناء ونتقاسمها انا واخواتي ونلف ايادينا بالمناديل الملونة، وعندما نستيقظ في الصباح كلنا حيوية ورغبة في الانطلاق، وبعد ان نقبل ايادي الوالدين نمضي الى منطقة (المحمودية) التي تقع على الشط قرب (شارع بغداد) في العمارة، وكانت العمارة تضم جميع الاديان والطوائف، وكان الجميع يشترك في المناسبات الدينية والاجتماعية ولم نكن نعرف الطائفية او التفرقة، خذ على سبيل المثال الصابئة الذين تداخلوا معنا في كل شيء حتى اسمائهم (علي، عباس، حسين) وهذا دليل قاطع على وحدة العراقيين.

عراق الأديان والتسامح

بعد ذلك انتقلنا من العمارة الى البصرة لكون والدي كان تاجرا معروفا ولظروف التجارة كنا ننتقل من مكان الى اخر، سكنا في منطقة العباسية وكانت تضم كل المكونات: الاسلام والمسيح والصابئة واليهود، والان اذكر زميلاتي اليهوديات (موزة وتفاحة) حيث كان اليهود يسمون اسماء بناتهم باسماء الفواكه لانها من نعم الله على الناس اجمعين، كانت موزة تقدم لي هدية تختلف عن الهدية التي تقدمها لي تفاحة، وها هنا سالت الدموع من عيون المتحدثة حسرة وحرقة على العراق الجميل الذي اصابه شيء من الخراب بعد ان كان في الزمن القريب قبلة الانظار للسياح الاجانب والمستشرقين، ولكن بجهود الطيبين من العراقيين الغيارى سيعود الوطن معافى وتعود بغداد الى سابق عهدها حيث الشعراء والصور والصبايا الحسان.

سدة الهندية

جاسم الشريفي ٧٠ عاما من محافظة بابل قال لنا:

فترة الصباح نقضيها في الزيارات وتبادل التهاني، وبعد الظهيرة اذا كان الوقت صيفا نخرج لزيارة سدة الهندية، الاطفال يركبون عربات تجرها الخيول مقابل (٤ فلوس) ويتبادلون في العربات القبلات والسلام حتى يصلوا الى السدة ثم يعبروا عليها الى الجانب الاخر وبعد التمتع يعودون الى البيت.

العربات والخيول

بكى وقال: ذكريات جميلة حركتها في نفسي مضى عليها (٦٠ عاما) تذكرت العربات التي تجرها الخيول التي تحمل الاجراس وشرائط الزينة، وهي تحمل رجالا كبار السن يدقون الطبول وينقرون على الطبلات ويعزفون في المزامير وهذا ما يثير الفرح والبهجة لدى الاطفال.

في الوقت الحاضر هذه المظاهر اختفت من الشارع وحلت مكانها السيارات والحدائق العامة وغيرها، حاليا سدة الهندية القديمة تشكو الاهمال وقد حولوها الى اماكن لتجميع القاذورات وهدمت (المسناية) التي عمرها ٩٨ عاما.

صالون حلاقة الفنانين

حسين لازم ٦٢ عاما من اهالي بغداد يقول:

كان عندي محل للحلاقة في شارع السعدون باسم (حلاقة الفن) والاسم يدل على ان المكان خاص بالفنانين والشعراء والملحنين وهو كذلك بالاضافة الى عامة الناس، وكان دكاني المتواضع يتواجد فيه اغلب الاسماء البارزة في فترة السبعينيات مثل المطربين حسين نعمة وقحطان العطار وصباح السهل وحميد منصور وبعض الشعراء مثل جبار الغزي وزامل سعيد فتاح والراحل جودت التميمي، وفي فترة الاعياد تحديدا كانت تقام الحفلات الساهرة الى الصباح في النوادي الليلية او في البيوت المتمكنة ماديا، وكنا سعداء جدا، تغير الزمان واختلفت الظروف من مات مات من الاصدقاء، ومن هاجر بعيدا الى مدن الثلوج والضباب، ومن بقي يعيش على هذه الذكريات القديمة.

عاشق السينما والأفلام

مهدي زبون ٥٨ عاما عاشق السينما والافلام الاجنبية يضيف: كنا مجموعة من الاصدقاء اهتمامنا بالسينما هو الاول في تطلعاتنا الثقافية والحياتية، وكنت دليل اصدقائي باختيار الفلم الاجمل من بين الافلام، وكنا لا ندخل الا في (السينمات) الراقية امثال: سمير اميس وغرناطة وبابل والنصر، وفي ايام العيد دخول السينما له نكهة خاصة حيث مظاهر الفرح والضحكات والاحبة، ومن الافلام التي اتذكرها: زوربا اليوناني، كيوما، زت، صياد القرش، نغم في حياتي، دارت الدنيا ووقعت في الاسر وكنت حافظا لما يقارب (١٠٠٠ فلم) فوجدت في قصها على الاسرى شيئا من الترفيه وقتل الفراغ باشياء نافعة وكنت املي الفراغات باضافاتي بالنسبة للاحداث المنسية، وكنا نناقش الافلام بعد ان نستمع اليها، امنياتي ان تفتح (السينمات) ابوابها ويعود ذلك الزمان الجميل من جديد.

الفرجة في بغداد

وسالنا الحاج عبد حميد الجميلي عن العيد ايام زمان ومايسمى بالفرجة فقال:

الفرجة وهي كما تعرف الساحة التي يجتمع في الاولاد ايام العيد حول بعض الالعاب البسيطة والماكولات الشعبية في كل منطقة من مناطق بغداد القديمة؟

كان القائمون على هذه الساحات يبدأون بالتحضيرات ونصب دواليب الهواء والمراجيح قبل ايام من العيد وكذلك يزين اصحاب العربات التي تجرها الخيل او اصحاب الربلات عرباتهم بوسائل الزينة البسيطة المتاحة في تلك العقود وكانت كل عربة تقوم بجولة في المناطق القريبة وهي تحمل عددا كبيرا من الاطفال مقابل مبالغ زهيدة، وكذلك يتجمع الباعة المتجولون منذ الصباح الباكر، فمنهم من يبيع (الشعر بنات)، ومنهم من يبيع الداطلي او الزلابية، او الدهين وغيرها من الحلويات، واخرون يبيعون اللبلبي والشلغم اذا وافق العيد فصل الشتاء او التمر مع اللبن او (الازبري واللاكستك)، اذا وافق صيفا،وهي مرطبات تعد حين طلبها بادوات يدوية يحيط بها الثلج المكسر من كل جانب،ولا انسى ان اعرج على باعة (شربت التمر هند، والنومي بصرة،والزبيب).

اما عن الشطائر، فانني اذكر اننا كنا نختم صباحنا السعيد بتناول (لفة فلافل مشبعة بالعنبة) والتي كان يبيعها في ساحة الفرجة مجموعة من الباعة المتجولين، حاصل ماقلت انه برغم بساطة مظاهر العيد في العقود الاخيرة من القرن الماضي الا ان الصغار والكبار كانوا يشعرون بفرحة غامرة لانهم كانوا على قلب واحد لا يفرقهم مذهب ولا دين،فقد اعتاد البغداديون من المسيحيين والصابئة على ان يشاركوا المسلمين فرحة عيدهم بكل تفاصيلها، ومهما اختلف الزمان وتطورت الامكانات، فلن نشعر بتلك الفرحة القديمة الا اذا عدنا (واعني البغداديين والعراقيين بشكل عام) الى سالف الايام بصفائها واخوّتها ونقاء السرائر فيها.

العيد في الفضل

وسألنا ام احمد مالذي كنت تفعلينه في العيد ايام طفولتك وانت صبية من ابناء مدينة الفضل احدى اعرق المناطق الشعبية في بغداد؟

– العيد في المناطق الشعبية حينذاك كان حدثا جميلا ينتظره الجميع، الطفل والاب والام، فهو وعيديته فرحة كبيرة للاطفال من ابناء الاسر الفقيرة في الفضل وغيرها، الطفل الذي لم يعتد على ارتداء ملابس جديدة الا في العيدين السعيدين، لذا فان بدء العد التازلي في الايام التي تسبق العيد كان من اهم اللحظات التي نعيشها انذاك، ابي كان يطلق الوعود تلو الوعد قبل العيد بشهر تقريبا،بان فلان او فلانة من اخوتي واخواتي سيكون او تكون الاجمل والاحلى لانه سيشتري له او لها ملابس مميزة عن الاخرين والفائز من يكون مطيعا ويسمع كلام الكبير ولا يتسبب باية مشكلة في تلك الايام، لذا فان انتظار هدايا العيد وملابسه كان حلما جميلا يراود اطفال الحي الشعبي الفقير، والتباهي بين البنات وحتى الاولاد كانت سمة الموعودين بالجائزة، وبعد ارتداء الملابس الجديدة والجميلة والحصول على العيدية كنا نتوجه الى اماكن اللهو(الفرجة)،ولعل اجمل مافيها التنزه بسيارات مكشوفة مقابل ثمن زهيد، يركب فيها عشرات الاطفال في جولة قصيرة داخل احياء المنطقة، وهم يصفقون وينشدون اغاني شعبية بسيطة، وكان الواحد منهم من فرط سعادته قد ملك الدنيا وما فيها، ولايغيب عن بالي السينما اليدوية، او مايسمى بصندوق الدنيا لماتحتويه من صورة ملونة وجميلة لا يستطيع ان يدفع ثمن مشاهدتها الا طفل كنا نعده من ابناء الاثرياء، اما الباقي فكانوا يكتفون باللعب واللهو بالاراجيح ودولاب الهواء، وهي العاب خشبية بسيطة لطالما امتعتنا وضاعفت فرحتنا بالعيد.

× ماذا عن اكلات العيد الشعبية – الاكلات الشعبية انذاك عبارة عن اكلات بيتية رائعة، (كالدبس وحمص، والتمرية، والعسلية).

اليوم يصعب تحضير اجواء مناسبة للعيد، فايامه باتت لاتختلف كثيرا عن باقي الايام،بالنسبة لعائلتي، فان اولادي وبناتي اصبحوا كبارا بحكم الظروف، فهم منهمكون بالتوفيق بين الدراسة والعمل وقلما يجدون وقتا للاسترخاء والاحساس بفرحة العيد، لا اريد ان اكون متشائمة في هذه الايام المباركة.

×ونختم جولتنا مع ابو زبيدة الذي احببت ان يتحفنا بخاتمة ترسم البسمة على وجوه الجميع، فسالته عن موقف طريف في العيد فاجابني كنا صغارا فاشتد الموقف بيني وبين اخي الاكبر في يوم عرفات وتبادلنا اللكمات قبل ان يتدخل الاهل لفض النزاع، والمضحك في الموقف ان الخلاف كان على قطع صغيرة من الحلوى التي اعطتنا اياها امنا الحنون في ذلك اليوم المبارك وانتهى الامر بان جلسنا معا ناكل تلك الحلويات وننعم بانتظار صباح العيد السعيد.

آلام وافراح رسمت لنا عبرسطور طويلة خريطة العيد البغدادي في عقود خلت من القرن الماضي، وكشفت لنا اسرار الفرحة العارمة التي كان يعيشها البغداديون في تلك الحقبة الامنة، فبساطة العيش والالفة والمحبة والامان الدائم انامل ذهبية عزفت الحان المواطنة الحقة وحنت على رؤوس البغداديين عقودا طويلة من الزمن فعاشوا متحابين متازرين في السراء والضراء، ولعل عيدي الفطر والاضحى المباركين في الماضي ضربا اعظم مثل للسعادة التي كان يعيشها اولئك البغداديون الاصلاء على اختلاف معتقداتهم ومشاربهم.

الأطـفـال في الـعـيـد

(العيدية) بهجة العيد المحفورة في ذاكرة العراقيين

بغداد/ وكالة نينا

تعد العيدية عند العراقيين وخصوصا الاطفال من اهم مظاهر الاحتفال بالعيد ولها تقاليد وطقوس ما زال الشارع العراقي يتذكرها بشغف.

يقول عمار حسن كاسب"مازلت اتذكر الى الان كيف كنا نسعى للحصول على العيدية من الاشخاص الذين يزورونا الى البيت او اولئك الذين نذهب لزياراتهم"، مشيرا الى ان الحصول على العيدية من اهم"مستلزمات الاحتفال بالعيد عند الاطفال العراقيين".

ويوضح"قد لاتقتصر العيدية على الاطفال فحسب فبامكان اي شخص ان يقدم لولده او ابنته المتزوجة حديثا عيدية وعليه فالعيدية غير محددة بعمر معين".

وعن ذكرياته مع العيدية يقول"الى الان اتذكر كيف كنا نذهب منذ الصباح الباكر في ايام العيد ونجول على الاقارب والاصدقاء لجمع اكبر قدر ممكن من المبالغ التي تعطى الينا بعنوان العيدية وبعدها نذهب الى الحدائق والمتنزهات لصرف كل ماحصلنا عليه على اللهو واللعب".

ويضيف"طبعا لم تكن بالضرورة العيدية مبالغ مالية بل ان بعض العوائل تعطي للاطفال انواعا من الحلويات والمعجنات وقسم اخر من العوائل يكون حريصا على اعطاء طالبي العيدية تمورا تجلب لهذا الغرض".

فيما يعتبر سرمد عبد الله وهو مهندس ان العيدية"ليست مجرد مبالغ مالية اعتيادية كما يراها الكثيرون بل ان منحها يمثل مواقف تبقى أيجابية عالقة في ذاكرة الانسان على مر الازمان والعصور".

ويقول عبدالله"حتى الحصول على العيدية لايأتي عشوائيا فهناك طرق وآليات معينة كلما حرص الاطفال على الالتزام بها كلما كان الربح من العيديات اكثر واوفر مالا".

ويتابع القول"في أيام طفولتنا كنا نحن الاطفال نتسابق على الجلوس في غرفة الضيوف وصالات الاستقبال في بيوتنا حتى نكون امام مرأى من جاء يبارك بالعيد من الاقارب والجيران والحصول على عيديته".

ويشير الى انه"كلما كان الجلوس في هذه الامكنة طويلا كلما حصلنا على مبالغ مالية اكثر".

ويمضي الى القول"اعتقد ان احتفال العراقيين في العيد في هذه الايام هو اكبر تحد لما تشهده البلاد من ازمات متكررة"، مشيرا الى ان"العراقيين سيواصلون الحياة وسيحتفلون بعيد الفطر وتلك ابلغ رسالة على مواجهة الحياة".

فيما ترى وصال جبار، طالبة جامعية، أن"لذكريات العيد في نفوس العراقيين مواقف طريفة ترتبط بايام الطفولة ومازلت اتذكر كيف كان الاهل يحرصون على شراء كل مسلزمات العيد لنا قبل حلوله".

وتتابع قائلة"عادة اليوم الاول والثاني من العيد العائلة غير متفرغة لاخراج الاطفال في نزهة معينة وذلك كونها مشغولة لاستقبال الاهل والاقارب الذين يأتون للتبريك في العيد السعيد وعادة مايخصص اليوم الثالث للتفرغ الى نزهة الاطفال".

وحول العيدية تقول وصال"بلاشك العيدية جزء من تقاليد المجتمعات الشرقية بما في ذلك المجتمع العراقي والى الان اتذكر كيف كنا نذهب إلى الساحات والحدائق لصرف العيديات ولقضاء امتع الاوقات في المراجيح وركوب الخيول والعربات".

وتضيف"نريد ان يعيش اطفالنا غير الظروف التي عشناها نحن فلا نريد ان نعكس معاناتنا وظروفنا الحرجة على حياة ابنائنا".

من جهته تمنى ابو زهراء وهو مدرس ان"تسمح له الظروف الامنية بالخروج الى الاماكن العامة والترفيه عن اطفاله"، مبينا بان"العراقيين لم يعيشوا متعة الاعياد والمناسبات منذ زمن طويل".

ويقول ابو زهراء"اتمنى على الاجهزة الامنية ان تكون اكثر يقظة وحذراً في مهمة حماية ارواح الناس وخصوصا قرب الاماكن الترفيهية والمجمعات"، لافتا الى أن"التراخي في اداء الواجب سيأتي بنتائج عكسية لاقدر الله".

وحول ذكريات ابو زهراء مع العيدية يقول"انا من الان اضطررت لاخراج مبلغ معين بهدف توزيعه يوم العيد لاطفالي وللعوائل التي ستزورنا لان ذلك جزء مهم من طقوس الاحتفال بالعيد"